Agricultural crops and livestock in the Khawarzum region after the Islamic conquest (93 AH / 711 AD)

Asst. Lect. Haleem Nima Ahmed
halimnimma@gmail.com
Prof. Wafa Adnan Hamid (Ph.D)
Wafaaadnnan@yahoo.com
University of Baghdad / College of Arts

DOI: https://doi.org/10.31973/zev12748

Abstract

This research focuses on an important aspect of economic life in the Khiva region, as it centers on the most important agricultural crops in the region, which are the primary source of human and animal food, and providing raw materials for many food and other industries. Moreover, what is surplus to requirements is exported abroad, and this is a recovery for trade. Most of the population of the Khwarezm region works in agriculture due to the abundance of river as well as the fertility of the land, in addition to the livestock in the region, as the people of Khwarazm used to acquire all kinds of livestock as it is a source of food, with the abundance of raw materials for various industries such as fur, wool, and others.

The Khiva region was distinguished by its agricultural and livestock production, which met local needs and much of it sent to neighboring countries.

Keywords: agriculture, algorithm, economy ,livestock,

المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية في إقليم خوارزم بعد الفتح الإسلامي (٩٣ هجرية/٧١١ميلادية)

م.م. حليم نعمه أحمد
جامعة بغداد/ كلية الآداب
halimnimma@gmail.com

أ.د. وفاء عدنان حميد
جامعة بغداد/ كلية الآداب
Wafaaadnnan@yahoo.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

اختص هذا البحث بجانب مهم من جوانب الحياة الاقتصادية في إقليم خوارزم، إذ تمحور موضوع البحث في أهم المحاصيل الزراعية في الإقليم والتي تعد المصدر الأساس للغذاء الإنساني والحيواني، وتوافر المواد الأولية لكثير من الصناعات الغذائية وغيرها، وما فاض عن الحاجة فهو يصدر إلى الخارج وهذا انتعاش للتجارة، وإن معظم سكان إقليم خوارزم يعملون في الزرعة ذلك؛ لكثرة الأنهار وخصوبة الأرض، فضلاً عن الثروة الحيوانية في الإقليم، إذ إن أهل خوارزم كانوا يقتنون المواشي بأنواعها كونها مصدرا من مصادر الغذاء، مع وفرة المواد الأولية للصناعات المختلفة كالأوبار ،والفراء، والأصواف، وغيرها.

وتميز إقليم خوارزم بالإنتاج الزراعي والحيواني الذي سد الحاجة المحلية ورفع الكثير منه الى البلاد المجاورة.

الكلمات المفتاحية: الزراعة، خوارزم، الثروة الحيوانية، الاقتصاد.

مقدمة

بسم الله وصلَّ الله على نبينا محمد وآله أجمعين.

إن دراسة إقليم خوارزم بعد الفتح الإسلامي (٩٣هـ/٧١١م) تعد من الأمور المهمة ،إذ تبيّن الكثير من الجوانب الحضارية فيه.

ومن أهم الجوانب في الحياة البشرية هي الجوانب الاقتصادية ،إذ تمثل المحور الأساس لأنشطة المجتمع، بجوانبها الزراعية والصناعية والتجارية . واختص بحثنا هذا بجزء من النشاط الزراعي في الإقليم، كون خوارزم من الأقاليم المهمة التابعة للدولة العربية الإسلامية ،ويعد ثغراً مهماً من ثغورها لمجاورته بلدان لم تدن بالدين الإسلامي.

شهد إقليم خوارزم أنشطة زراعية مختلفة من تنظيمات الري ووضع السياسة الزراعية الملائمة للإقليم، فضلاً عن التنوع في الإنتاج الزراعي ونوعية المحاصيل الزراعية.

وجاء في البحث أهم المحاصيل الزراعية في خوارزم وتم تدوينها بحسب أهميتها، فالحبوب تمثل الغذاء الرئيس للإنسان كالحنطة، والشعير، والأرز، والسمسم ،والحبوب الأخرى وهذه كلها منتجات زراعية في إقليم خوارزم، فضلاً عن المنتجات الزراعية الصناعية كالقطن، أما الفاكهة فكانت زراعتها على نطاق واسع في مختلف مدن الإقليم وقراه، واشتهر إقليم خوارزم بكثرة البساتين والأشجار، أما الثروة الحيوانية فكان أهل خوارزم ممن اهتم بالرعي واقتناء المواشي، كالإبل ،والخيول ،والبغال، فضلاً عن حيوانات أخرى للاستفادة من أوبارها وأصوافها في الصناعات المختلفة، أما الأغنام فكانت من المواشي الكثيرة في إقليم خوارزم، إذ كانت المراعي في الإقليم كثيرة، ويتمتع الإقليم بثروة سمكية كبيرة.

أولاً : المحاصيل الزراعية في إقليم خوارزم

قال الله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}. (الأنعام ، الآية ١٤١)

وقال تعالى: {يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }.(النحل ، الآية ١١)

وردت آيات كثيرة في كتاب الله المجيد تحث على الزراعة وبعضها يؤكد بأن على الإنسان أن يسعى في أعمال الزراعة، لكن نمو النبات مهما كان نوعهُ بأمرٍ من الله، إذ قال تعالى: { أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ }.(الواقعة، الآية ٦٤)

وقال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): "من كانت لهُ أرض فليزرعها، فإن لم يستطع وعجز عنها فليمنحها أخاهُ المسلم". (البخاري، ١٩٢٣، حديث ٢٣٤٠)

ذكرنا في دراستنا هذهِ أن إقليم خوارزم اشتهر بالزراعة لخصوبة أرضه، إذ أثرت ترسبات الأنهار العديدة وأهمها نهر جيحون على خصوبة الأرض، والزراعة عموماً وفي خوارزم تحديدا ذات أهمية كبيرة للإنسان، فهي تمثل المصدر الأساس لتوفير الغذاء، فضلاً عن تقديمها المواد الأولية للصناعة ،وترفد التجارة بالمنتجات المختلفة والفائضة عن الحاجة المحلية، والزراعة من الحِرف الرئيسة التي اشتغل بها أهل إقليم خوارزم فهي مصدر معيشتهم، واشتهرت خوارزم بكثرة بساتينها وأشجارها ومزارعها ، فضلا عن كثرة المعاصر (ياقوت ، ١٩٩٥، صفحة ٤٨٠) (الحديثي، ١٩٩٠، صفحة ٣٠٠)، تشتهر مدنها بالزراعة، مثل: مذمينية، وكردرانخاس، وفراتكين تكثر فيها الزروع وفيها فاكهة مختلفة، أما مدينة كردر فهي ذات فواكه وزروع، وان الشجر والبساتين والرساتق فتكثر في مدينتي جكربند وجيت. (المقدسي، ١٩٠٦، صفحة ٢٨٩). وفي أدناه أهم المحاصيل الزراعية التي زرعت في إقليم خوارزم:

١- الحبوب:

تنتشر زراعة الحبوب في إقليم خوارزم بشكل كبير، وإن انتشار زراعتها؛ بسبب خصوبة الأرض، ووفرة المياه، واعتناء أهل الإقليم بزراعتها (القلقشندي، ١٩٢٢، صفحة ٤٦٧)، وإن الحبوب المزروعة في خوارزم متنوعة منها:

١- القمح: أو الحنطة، تزرع الحنطة في الأراضي السهلية ويبدأ وقت زراعتها من نصف شهر أيلول إلى آخر كانون الثاني (البيروني، ٢٠٠٠، صفحة ١٤٤) ، والحنطة على أنواع منها: البيضاء، والحمراء، والسوداء. (الغرناطي، ٢٠٠١، صفحة ١٢٨)

وعرفت بلاد خوارزم زراعة الحنطة، إذ تمت زراعتها على مساحات واسعة في أغلب مدن الإقليم، فضلاً عن مدينة الجرجانية التي اشتهرت بزراعة معظم الحبوب ومنها: الحنطة. (ابن فضلان ، ١٩٦٠، صفحة ٨٥) (ابن حوقل ، ١٩٩٢، صفحة ٣٩٧) (اللبودي، ٢٠١٣، صفحة ١٩٠)

٢- الشعير: وهو من المحاصيل الزراعية التي زرعت في مناطق مختلفة من إقليم خوارزم (القلقشندي، ١٩٢٢، صفحة ٤٦٧) ، وموعد زراعته من منتصف شهر أيلول إلى شهر تشرين الأول (الغرناطي، ٢٠٠١، صفحة ٤٤٩) ، وهو من المحاصيل المهمة للاستهلاك البشري والحيواني. (لسترنج، ١٩٥٤، صفحة ٤٨٧)

٣- الأرز: هو من أشهر الحبوب التي زرعت في إقليم خوارزم، إذ توافرت البيئة الملائمة لزراعته في الإقليم لوجود المياه، وصلاح الأرض لزراعته (البكري، ١٩٩٢، صفحة

٢٣١) وقد بذل أهل خوارزم جهوداً كبيرة لتهيئة الأرض لزراعته، وتكمن أهمية زراعة الأرز في خوارزم، كونهُ يعد المادة الغذائية الأساسية في طعام أهل خوارزم. (ياقوت، ١٩٩٥، صفحة ٣٩٦) ويزرع الأرز مرتين في السنة الواحدة، فالصيفي منهُ تبدأ زراعته في شهر تموز، أما الشتوي فتبدأ زراعته في شهر كانون الثاني. (الوطواط، ٢٠٠٨، صفحة ١٤٨)

٤- السمسم: نبات يزرع في التربة اليابسة البعيدة عن الرطوبة، ويُسقى مرة في كل أسبوع صيفاً، ووقت زراعته يبدأ من أول شهر آيار الى العشرين من شهر حزيران (البيروني، ٢٠٠٠، صفحة ٢٣٦) (الغرناطي، ٢٠٠١، صفحة ٤٧١) واشتهرت خوارزم بزراعة السمسم، إذ يُعد من منتوجاتها الرئيسة، ويسد الحاجة المحلية ويصدر منهُ. (المقدسي، ١٩٠٦، صفحة ٣٢٥) (اللبودي، ٢٠١٣، صفحة ١٩١)

٥- الدخن والجاروس: من أنواع الحبوب التي تزرع في إقليم خوارزم، (القلقشندي، ١٩٢٢، صفحة ٤٦٧) (خلف، ٢٠٠٤، صفحة ٢١١) والدخن حب يعمل منه الخبز ،وتكون حباته صغيرة الحجم، ويزرع عادةً في الأماكن الباردة (الانطاكي، ١٨٨٤، صفحة ١٥٢) والجاروس من الحبوب نباته يشبه قصب السكر، وحبه يشبه حب العدس، يعمل منه الخبز وهو أفضل من الدخن (ابن فضلان ، ١٩٦٠، صفحة ٨٦) (الانطاكي، ١٨٨٤، صفحة ١٠٢)

٦- حبوب أخرى: والحبوب الأخرى التي تزرع في إقليم خوارزم كثيرة منها: البندق، واللوز. (خلف، ٢٠٠٤، صفحة ٢١١) (الحديثي، ١٩٩٠، صفحة ٣٠٠)

٢- محصول القطن:

هو من المحاصيل الصناعية (الوطواط ، ٢٠٠٨ ،ص١٦٨) ومن أشهر المحاصيل التي تزرع في إقليم خوارزم (الاصطخري، دون سنة ، صفحة ١٥٧) (لسترنج، ١٩٥٤، صفحة ٥٠٢) ويُعد من المحاصيل التي تقاوم تقلبات الطقس وشدة البرودة (اللبودي، ٢٠١٣، صفحة ١٩١) ووقت زراعته في شهر نيسان. ويتم جني المحصول في أول شهر آب، ويسقى كل ثمانية أيام (الغرناطي، ٢٠٠١، صفحة ٤٧٣)

٣- الفواكه:

يشتهر إقليم خوارزم بزراعة أنواع مختلفة من الفاكهة، فهي منتشرة في مدن الإقليم، إذ أشار الاصطخري لذلك بقوله: "وخوارزم مدينة خصبة كثيرة الطعام والفواكه" (الاصطخري، دون سنة، صفحة ١٥٧) ، وذكر الإدريسي فاكهة خوارزم في بعض مدنها، إذ قال: "والطاهرية مدينة ظاهرة الحسن لها دخل وخرج ومزارع وبركات وفواكهها عامة تقوت أهلها وتفضل عنهم". وقال: "وخيوة مدينة عامرة.. ولها سور حصين وجنات واسعة ومزارع

وفواكه" (الادريسي، ٢٠١٦، صفحة ٤٢١)، إن ثمار الفاكهة في خوارزم من أطيب الثمار وأشهاها وألذها وأحلاها (القزويني، ١٩٦٠، صفحة ٥٢٥) والفواكه في إقليم خوارزم كبيرة منها:

١- الكروم (العنب): فاكهة من أشهر الفاكهة في خوارزم ،انتشرت زراعته في مدن عديدة من الإقليم، فضلاً عن مدينة درغان التي اشتهرت بكثرة أعنابها وزبيبها الفائض عن الحاجة المحلية (ياقوت ، ١٩٩٥، صفحة ٣٩٨) (بارتولد، ١٩٨١، صفحة ٢٤٨) ، وهذه المدينة مطلة على ضفة نهر جيحون اليسرى بكرومها التي بلغت خمسمائة كروم، وطول الكرم الواحد فرسخين، إذ إن مجموع طول الكروم فيها ما يعادل اثنا عشر كيلومتراً، فضلاً عن زبيبها الشهير (المقدسي، ١٩٠٦، صفحة ٢٨٩) (خلف، ٢٠٠٤، الصفحات ٢١١-٢١٢)، تزرع شجرة العنب والكرم في التربة الحمراء والبيضاء وهي أفضل الترب لزراعته، ويسقى الكرم في أول تشرين الثاني إلى نهاية كانون الأول وفي الصيف، ولا يسقى في فصل الربيع؛ لأن السقي فيه يسقط لقح الشجرة (الغرناطي، ٢٠٠١، صفحة ٤٠٨)

٢- التين: اشتهرت خوارزم بزراعة أشجار التين، وهو من أجود الأنواع، وكان يفيض عن حاجتهم، ويصدر إلى الهند والصين (ابن بطوطة ، ١٩٩٢، صفحة ٣٢٠)

٣- الرمّان: هي فاكهة تزرع أشجارها في التربة الحمراء الرقيقة الممزوجة بالرمل، وتزرع أصول الرمان في شهر كانون الأول، وتسقى ثلاث سقيات حتى تصبح شجرة مثمرة فتسقى كل ثمانية أيام ولا تترك، ومنها دون عمارة (الغرناطي، ٢٠٠١، صفحة ٢٢٨)

اشتهرت خوارزم بزراعة هذه الفاكهة، و أشار ابن بطوطة إلى رمان خوارزم المحبب الذي يقدمهُ أهل خوارزم بعد أن يوضع في أوان من الذهب والفضة ومعه ملاعق الذهب، وبعضه يوضع في أوان زجاجية وملاعقه الخشبية معهُ (ابن بطوطة ، ١٩٩٢، صفحة ٣٦٢)

٤- الكمثرى: تعد فاكهة الكمثرى من المنتجات الرئيسة في إقليم خوارزم، إذ لا يخلو بستان من بساتين خوارزم المنتشرة على مساحات واسعة من هذه الفاكهة (البيروني، ٢٠٠٠، صفحة ٢٤١) والكمثرى نبات بستاني منهُ الحامض والحلو، ويزرع في الأماكن باردة الهواء وفي الأرض القوية غزيرة المياه، وأفضل وقت لزراعته هو شهر تشرين الأول (الغرناطي، ٢٠٠١، صفحة ٢٦٩)

٥- التوت[*1]: (الغرناطي، ٢٠٠١، صفحة ٢٧٥) (ابن الوردي، ١٩٣٩، صفحة ٩٨) هو من الفواكه الكثيرة في خوارزم، إذ إن الشجر الغالب على أرض خوارزم هو شجر التوت (ياقوت ، ١٩٩٥، صفحة ٣٩٦) وأخشاب شجر التوت تستعمل في بناء المنازل وصناعتها، وتدخل في صناعة جميع المباني في خوارزم ومنها: الأسواق، والجوامع (القزويني، ١٩٦٠، صفحة ٥٢٠)

٦- فواكه أخرى: ومنها العلو وبالفارسية (آلو)، وهو نوع من الأجاص صغير الحجم، واكتسب شهرة واسعة (دهخدا، ١٩١٨، صفحة ٩١٧) ، وفاكهة التَّرنجبين وهي تخرج من النباتات وسيقان وأغصان النبات ،وتكون على شكل بلورات بيضاء حلوة المذاق، وتشبه المن [*2](ابن البيطار ، ٢٠٢٠، صفحة ٢٠٠)(الذي ينزل من السماء (محمد ، ١٩٥٥، صفحة ٤٣٦٧) ، فضلاً عن الملابن[*3] (الزبيدي، ١٨٨٨، صفحة ٣٢٨) وهي نوع من أنواع الصمغ ولثمرها حرارة في الفم، وشجرتها شوكية لا تفترق عن الأرض لأكثر من ذراعين (الزبيدي، ١٨٨٨، صفحة ٣٢٨) (بارتولد، ١٩٨١، صفحة ٣٦٧)

٧- الفواكه الطبية: وجدت في خوارزم فواكه استعملت عقاقير طبية ومنها: فاكهة العناب الموجودة في خوارزم، وهي تؤكل أو تطبخ ويشرب ماؤها، كونه يقوم بتنقية الدم وتصفيته، ومسهل وملين للأمعاء (ياقوت ، ١٩٩٥، صفحة ٣٩٦)وفاكهة المَنّ الذي انتشر في خوارزم على نوعين: الأول :للأكل والثاني: للعلاج، فضلاً عن الترنجبين الذي يكون طعمه كالشهد وقد تحدثنا عنه فهو يستعمل لعلاج الأمراض الصدرية ومهدئ للأعصاب (دهخدا، ١٩١٨، صفحة ٦٢٩) (محمد ، ١٩٥٥، صفحة ٤٣٦٧)

٤- زراعة البطيخ[*4]: (مصطفى، من دون تاريخ ، صفحة ٦١)

من المحاصيل الزراعية التي اشتهرت به خوارزم، وذكر الثعالبي أن بطيخ خوارزم معروفاً عندهم باسم (البارنج) أو النارنج (الثعالبي، ١٩٦٠، صفحة ٢٢٦) وإنه من أطيب أنواع البطيخ (حمودة، ٢٠٠٩، صفحة ٢٦٩) وذكر ابن بطوطة بطيخ خوارزم بقوله: "وبطيخ خوارزم لا نظير لهُ في بلاد الدنيا شرقاً ولا غرباً.. وقشرهُ أخضر، وباطنه أحمر، وهو صادق الحلاوة، وفي صلابة" (ابن بطوطة ، ١٩٩٢، صفحة ٣٦٤)(، وذكر القزويني فقال: "ومن عجائبها (خوارزم) زراعة البطيخ" (القزويني، ١٩٦٠، صفحة ٢٥١)

(*)1 ويسمى الفرصاد ، هو ألوان متعددة ، أبيض ، أسود ، أزرق ، أحمر ، أصفر ،ينبت على حافات الأنهار، وهو اعز الأشجار ؛لأن دود القز لا يأكل إلا منه.

(*)2 ينزل على أطراف الأشجار ليلا، ويلتقط منها ، ويستعمل في علاج السعال والأمراض الصدرية.

(**)3 نوع من الصمغ يقال له الكندر، وقيل إن اللبان هو شجر الصنوبر .

(***)4 نبات عشبي حولي متمدد ، تزرع ثماره في المناطق المعتدلة والدافئة ، وهو من الفصيلة القرعية ، وثمرته كبيرة ، كروية أو مستطيلة ، ومنه أصناف كثيرة .

وكان هذا البطيخ يُحمل إلى الخليفة المأمون (١٩٨- ٢١٨هـ/٨١٣ -٨٣٣م) وإلى الخليفة الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١ -٨٤٦م) في بغداد (الثعالبي، ١٩٦٠، صفحة ٢٢٦) (النويري، ٢٠٠٤، صفحة ٣٧١) و ينقل بطريقة معينة، إذ يحمل بآنية من الرصاص ملفوف بالثلج، وكان ثمن البطيخة التي تصل بحالة جيدة سبعمائة درهم وهو ثمن مرتفع جداً. (الثعالبي، ١٩٦٠، صفحة ٢٢٦)

ومن الطرائق المستعملة في نقل البطيخ، إنه يقدد ويُجفف في الشمس ويوضع في قوارير [*٥](المقدسي، ١٩٠٦، صفحة ٢٨٦) (الزبيدي، ١٨٨٨، صفحة ٤٩٧) ويُنقل الى مختلف البلدان ولا يوجد في جميع الفواكه اليابسة والمجففة أطيب منهُ (ابن بطوطة ، ١٩٩٢، صفحة ٣٦٤) (الباكوي، ١٩٧١، صفحة ١٢٤)

تختلف طريقة زراعة البطيخ في خوارزم فعن بقية البلدان،إذ إن خوارزم محاطة بالرمال السائلة بثمانين فرسخاً في ثمانين فرسخاً (القزويني، ١٩٦٠، صفحة ٥٢١) وفي هذه المناطق الرملية التي تنبت أشواكاً برية، وعند أوان زراعة البطيخ يذهب أهل خوارزم إلى هذه المناطق، ويحجز كل مزارع قطعة من الأرض، ما شاء من المساحة ؛لأن هذه الأراضي لا مالك لها، ويقومون ببذر البذور في أصول الشوك بعد شق أصوله سيقانه، وتنبت هذه البذور بنداوة الشوك ولا تحتاج للسقي (القزويني، ١٩٦٠، صفحة ٥٢١)

ولا تحتاج زراعة بطيخ خوارزم المزروع بهذه الطريقة الى أي شيء من الأعمال الزراعية، فإذا آن أوان نضج البطيخ ذهبوا إلى أراضيهم ورأوا وجه الأرض المزروعة مملوءا بالبطيخ الذي ليس مثله في شيء من البلاد طيباً وحلاوةً، علماً أنهُ رخيص الثمن ؛لكثرته وقلّة مؤونته) (القزويني، ١٩٦٠، صفحة ٥٢١) (الباكوي، ١٩٧١، صفحة ١٢٤)

٥- بساتين الأشجار في خوارزم:

خوارزم متصلة العمارة ، ومتقاربة القرى ، وكثيرة القصور والبيوت ، قلما يقع النظر في رساتيقها على أرض لا عمارة فيها ، هذا وكثرت بساتين الأشجار في خوارزم، فمنها بري نبت من دون تدخل الإنسان ولاسيما المناطق (ابن حوقل ، ١٩٩٢، صفحة ٤١٥) (المقدسي، ١٩٠٦، صفحة ٢٨٩) ومنها بساتين أشجار التوت التي قام الأهالي بزراعتها على مساحات واسعة في الإقليم، وشجر التوت هو الشجر الغالب على أرض خوارزم (ياقوت ، ١٩٩٥، صفحة ٣٩٦) وكانت تنمو في إقليم خوارزم أشجار الموز الأبيض (التوز)، وشجر آخر يسمى الطاغ تؤخذ أغصانه كحطب للتدفئة (ياقوت ، ١٩٩٥، صفحة ٣٩٦) (الميموني، ٢٠٠٣، صفحة ٢٥٤) فضلا عن الخلاف وهو شجر يزرع من أجل

[*٥] أوعية مصنوعة من القصب تستعمل لحفظ التمر والثمار المشابهة له فضلاً عن الفواكه المجففة.

العمارات، إذ إن عماراتهم من الخشب؛ لأن أرضها كثيرة النزوز لا تحتمل البناء الثقيل، فالماء ينبع اذا حفرت عمق ذراعين (القزويني، ١٩٦٠، صفحة ٥٢٠)

٦- القصب:

وهو من المحاصيل الصناعية، فقد احتوت البطائح و المستنقعات الواسعة في إقليم خوارزم وبالقرب من بحيرة خوارزم وعند مصب نهر جيحون، فكانت هذه المناطق مشهورة بوفرة القصب (ابن رسته، ١٨٩١، صفحة ٩٢) (لسترنج، ١٩٥٤، صفحة ٤٩٨)

ثانياً: الثروة الحيوانية في إقليم خوارزم

قال الله تعالى: {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ }(المؤمنون، الآية ٢١) { وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً } (الأنعام، الآية ١٤٢) {وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ } (النحل، الآية ٥.) فضلاً عن آيات كثيرة جاء فيها ذكر الثروة الحيوانية التي مَنَّ الله بها علينا.

سبحانه وتعالى خلق لنا الأنعام وهي: الإبل ،والبقر ،والغنم، وغيرها، وأشار القرآن الى فوائدها فهي للركوب ،ولحمها للأكل، ولبنها للشراب ،وصوفها ووبرها وشعرها للفراش والملابس، فضلاً عن منافع كثيرة (القمي، ٢٠١٤، الصفحات ٢٠٦-٣٥٧-٤٤٨)

الزراعة مصدر اقتصادي كبير للإنسان وإلى جانبه مصدر آخر مهم هو الثروة الحيوانية، وقيام الإنسان بتربيتها، وتربية الحيوانات جانب اقتصادي مهم مكمل للنشاط الزراعي . اعتنى أهل خوارزم بتربية الحيوانات المختلفة، وساعدهم على ذلك وفرة المراعي الطبيعية المنتشرة في الإقليم (خلف، ٢٠٠٤، صفحة ٢١٦)

لا تربى الحيوانات لتوفير المواد الغذائية المختلفة فحسب وإنما للعمل في الزراعة والري والتنقل بين المدن والدول عن طريق القوافل التجارية وغيرها من الأعمال (بيلياييف،من دون تاريخ ، صفحة ٣٧) ولحاجة الإنسان للحيوانات في خوارزم أصبح الشخص يمتلك من الحيوانات ما بين العشرين إلى خمسمائة وبحسب الحاجة إليها (ابن حوقل ، ١٩٩٢، صفحة ٣٨٧)، واستعملت الخيول الشهيرة للأغراض العسكرية .

تنوعت الحيوانات في إقليم خوارزم ومنها:

١ -الدواب: تكثر الدواب في إقليم خوارزم (الادريسي، ٢٠١٦، صفحة ٤٢٣) ومنها:

١- الجمال: تعد من أهم الحيوانات في إقليم خوارزم وأهمها: الأنواع التركية التي تتحمل البرد الشديد، واستعملها الخوارزميون للترحال والتنقل (ابن فضلان ، ١٩٦٠، صفحة ٨١)وذكر ابن بطوطة إن العربات تجرها الجمال في خوارزم، وقال: ".. واكترينا الجمال لجر العربات" (ابن بطوطة ، ١٩٩٢، صفحة ٣٥٨) وأكثر أنواع الجمال في خوارزم الجمل ذو السنامين، ويعد الإقليم الموطن الأصلي لهذا النوع (لومبار، ١٩٩٠، صفحة

١٤٩) واستعمل المسلمون الجمال للسفر ،وفي أداء مناسك الحج (ابن حوقل ، ١٩٩٢، صفحة ٣٨٧)

ب- الخيول: كانت الخيول تربى في خوارزم (الزمخشري، ١٩٩١، صفحة ٣٩٨) وامتازت خوارزم بخيولها المسماة بالخيل الهماليج[*٦](شير، ١٩٨٠، صفحة ١٥٨) وتعني البراذين[**٧] (ابن منظور، من دون تاريخ ، صفحة ٩٥) وسُمي هذا النوع بأبي الأخطل لخطل أذنيه أي: استرخائها بعكس أذن الخيول العربية (الجاحظ، ١٩٩٤، صفحة ٢٠٦) (الدميري، ١٨٦٧، صفحة ١٠٩)

٥- البغال والحمير: كانت البغال والحمير تربى في خوارزم (ياقوت ، ١٩٩٥، صفحة ٣٩٨) وتربى لاستعمالها في نقل الأحمال والأعمال الزراعية (العمري، ٢٠٠٢، صفحة ١٠٦) فضلاً عن استعمالها وسيلة للمواصلات (خلف، ٢٠٠٤، صفحة ٢١٦)

٢- الماشية:

١- البقر: يكثر البقر في خوارزم (الزمخشري، ١٩٩١، صفحة ٢٩١) ووصفت خوارزم أنها معدن البقر (المقدسي، ١٩٠٦، صفحة ٣٢٥)

٢- الأغنام والماعز: إن الأغنام والماعز من الماشية ،تكثر تربيتها في خوارزم ،وتعد من مصادر دخل أهل الاقليم، إذ ذكر الاصطخري أن أغلب يسار وغنى أهل خوارزم من اقتناء المواشي (الاصطخري، من دون سنة ، صفحة ١٥٧)وكان أهل خوارزم يهتمون برعي قطعان الماشية من الأغنام والماعز والضأن بالقرب من المفازات التي تحيط بالإقليم (الميموني، ٢٠٠٣، صفحة ٢٥٤)

وكانت الأغنام تربى في المراعي الطبيعية (خلف، ٢٠٠٤، صفحة ٢١٦) و خوارزم معدن الأغنام (المقدسي، ١٩٠٦، صفحة ٢٨٦)، فضلاً عن تربية الأغنام بالقرب من بحيرة خوارزم بأعداد كبيرة ويحمل منها الجبن واللبن إلى الأسواق (القلقشندي، ١٩٢٢، صفحة ٤٧١) واشتهرت مدينة الجرجانية بتربية الأغنام وبيعها ، وقد خصص لذلك ميدان خاص (المقدسي، ١٩٠٦، صفحة ٢٨٩)

وقد عرف أحد البيوت الكبيرة في خوارزم ببيت (البَرَقي) ،وتعني (ولد الشاة) وأهل هذا البيت يبيعون الحملان (ابن الأثير، من دون تاريخ ، صفحة ١٤١) ، وفي خوارزم تلد الشاة في السنة ستة أو سبعة رؤوس من الحملان والماعز ، وأكثر أهل خوارزم يذبحون مازاد على الاثنين من أولاد الغنم وينتفعون بجلودها، وذلك ؛لأن جلودها حمر قانية الصبغ ، تباع

[*٦] تعريب كلمة همله وتعني البرذون.

[**٧] البرذون بكسر الباء، والجمع براذين، والأنثى برذونة وهي الفَرَسْ والبرذون خيول غير عربية وهي اصغر من الخيل العربية وأكبر من الحمير.

الواحدة منها من ربع دينار إلى دينارين أو أكثر بحسب صبغته ، وفيها جلود باللون الأسود، إذ يبلغ الجلد منها لحسنه وحلوكته ونقاوته الدنانير الكثيرة، ومنها باللون الأبيض، تعمل منه أغشية لسروج الخيل؛ وعلة ذلك :" إن أغنامهم ترعى نهارا وتنفش ليلا، فقواها زيادة، وما ترعاه صحيح وملائم لها... وان الهواء عندهم يغذي حيواناتهم" (ابن حوقل، ١٩٩٢، صفحة ١٥١)

٣- دود القز [٨*](القزويني، ١٩٦٠، صفحة ٣٤٧)

اشتهرت خوارزم بكثرة الشجر وأغلبهُ شجر التوت الذي يُعد غذاء رئيسا لدود القز الذي يعيش على أوراق الشجر (ياقوت ، ١٩٩٥، صفحة ٣٩٦) (الميموني، ٢٠٠٣، صفحة ٢٥٦) وقام عدد كبير من أهل خوارزم بتربية دود القز لإنتاج الخيوط الحريرية (القزويني، ١٩٦٠، صفحة ٥٢٠) (خلف، ٢٠٠٤، صفحة ٢١٦)

٤- الحيوانات البرية:

امتازت خوارزم بكثرة الحيوانات البرية مثل: السمّور [٩***](الجاحظ، رسائل الجاحظ، ١٩٧٩، صفحة ٤٨٤) (الدميري، ١٨٦٧، صفحة ٣٠)والفنك[١٠***] (ابن منظور،من دون تاريخ ، صفحة ٣٦٩) (الدميري، ١٨٦٧، صفحة ٣٠)(والفاقم [١١****] (الجاحظ، رسائل الجاحظ، ١٩٧٩، صفحة ٢٠) (القزويني، ١٩٦٠، صفحة ٥١٧)

والسنجاب [١٢*](الجاحظ، رسائل الجاحظ، ١٩٧٩، صفحة ٤٨٤) (القلقشندي، ١٩٢٢، صفحة ٥٠) ودله [١٣**](الدميري، ١٨٦٧، صفحة ٣٠٧) والثعالب [١٤***](النويري، ٢٠٠٤، صفحة ٢٨٠) وكلها حيوانات برية تصطاد من أجل الحصول على وبرها وجلودها (الاصطخري، دون سنة ، صفحة ١٥٧) (المقدسي، ١٩٠٦، الصفحات ٣٢٤-٣٢٥)

٥- الأسماك والطيور:

امتازت خوارزم بوفرة الأسماك ؛لكثرة الأنهار والخلجان، ويعد السمك الغذاء الرئيس بعد الأرز لأهل خوارزم ،وتعد معدن السمك (ابن رسته، ١٨٩١، صفحة ٩٢) (المقدسي، ١٩٠٦، صفحة ٢٨٦) ، و كثر السمك في موضع يسمى خليجان وهو عند مصب نهر جيحون في بحر خوارزم وهذه المنطقة عبارة عن بطائح ومستنقعات، وهناك يصطاد السمك

[٨*](*)نوع من الديدان ، يعرف بدود البريسم ، يستخرج من شرانقه خيوط الحرير تنسج منه الأُزر والأقمشة ، وهي تعيش على أوراق شجر التوت .

[٩**](**)حيوان بري صغير يشبه الهر وقد يكون أكبر منهُ، وامتاز بوبره الكثيف الناعم.

[١٠***](***)دابة لها وبر حسن وهي لطيفة ، يجعلها بعض المصنفين من جنس الثعالب.

[١١****](****)دويبة بقدر حجم الفأر، لها شعر أبيض ناعم.

[١٢*](*)حيوان أكبر من الفأر، وبرهُ في غاية النعومة وجلده قوي جداً، ويصنع من جلدهِ الفراء النفيسة.

[١٣**](**)ويقصد به (الدَلَف) كلمة فارسية معربة، يشبه السمور، وهو حيوان وحشي يتغذى على الطيور

[١٤***](***) حيوانات برية كثيرة الوبر ألوانه الأبيض والأسود.

بكميات كبيرة، فضلاً عن أن الصيادين يقطنون في هذه المنطقة (الاصطخري، دون سنة ، صفحة ١٥٦) واهتم أهل خوارزم بتربية الطيور ومنها: دجاج الكراكي [(*****)١٥](النويري، ٢٠٠٤ ، ص٢٣٤) والحمام، ووجد في خوارزم الطيور الضواري كالصقور ،والشواهين البيض (الجاحظ، رسائل الجاحظ، ١٩٧٩، صفحة ٣٥) (القزويني، ١٩٦٠، صفحة ٥٢٥)

ثالثاً : الحِرف المرتبطة بالزراعة

١- حرفة الفلاحة:

هي إحدى المكاسب التي تؤثر في اقتصاد الدولة (الشيباني، ١٩٨٦، صفحة ٤٠) قال الرسول محمد (صلّى الله عليه وآله): "اطلبوا الرزق تحت خبايا الأرض" (الحنفي، ١٩٧١، صفحة ١٣٦) وذكر ابن خلدون: "هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب، بالقيام على إثارة الأرض لها وازدراعها، وعلاج نباتها وتعهده بالسقي.. ثم حصاد سنبله، واستخراج حبه من غلافه" (ابن خلدون ، ٢٠٠١، صفحة ٤٤٢) ، وحرفة الفلاحة من أقدم الحِرف التي عرفها الإنسان، وقد مارس الفلاحون في إقليم خوارزم هذه الحرفة وهم أهل القرى والأرياف وهم يشكلون الغالبية من سكان الإقليم، كون أراضي الإقليم من أخصب الأراضي وأجودها للزراعة مع وفرة المياه، فضلاً عن مستلزمات الزراعة الأخرى (الاصطخري، من دون سنة ، صفحة ١٥٧) (المقدسي، ١٩٠٦، صفحة ٢٨٥)

٢- حرفة الرعي:

تعد مهنة الرعي من أهم المهن التي كان يمارسها أهل خوارزم، إذ اقتنى سكان الإقليم الماشية، إن أغلب يسار أهل خوارزم وغناهم من اقتناء الماشية (الاصطخري، من دون سنة ، صفحة ١٥٧) (ياقوت ، ١٩٩٥، صفحة ٤٠٣)

٣-حرفة الصيد:

أدت البيئة الطبيعية لإقليم خوارزم إلى ازدهار مهنة الصيد سواء صيد الطيور والحيوانات البرية أو صيد الأسماك من نهر جيحون أو بحيرة خوارزم، وإن الترك ليس لهم عمل سوى حرفة الصيد (المسعودي، ١٩٣٨، صفحة ٩٩) (الربوة، ١٩٢٨، صفحة ٢٦٢)

[(****)١٥] وقيل الغرنيق وهو طائر أخضر طويل المنقار والرجلين، يشبه الأوز، لونه رمادي.

الخلاصة

جاء في البحث المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية في إقليم خوارزم بعد الفتح الإسلامي، وأهم ما يمكن استخلاصه ما يأتي:

١-أسهمت خصوبة أراضي إقليم خوارزم ووفرة المياه في ازدهار الزراعة.

٢-عمل أهل خوارزم بالزراعة، واعتنوا بتوفير السبل اللازمة لزراعة الأرض، إذ تظافرت الجهود الفردية والجماعية لاستغلال الأراضي وزراعتها.

٣-تميز إقليم خوارزم بالإنتاج الزراعي الوفير.

٤-تعد الزراعة مصدرا اقتصاديا كبيرا، وإلى جانبه مصدر آخر لا يقل أهمية وهو الثروة الحيوانية، إذ اعتنى أهل خوارزم بتربية الحيوانات المختلفة.

٥-ساعدت وفرة المراعي الطبيعية المنتشرة في الإقليم على كثرة الحيوانات المختلفة في الإقليم.

٦-ان الثروة الحيوانية والإنتاج الزراعي الوفير في الإقليم لم يعد مصدرا أساسيا للغذاء فحسب، بل ساهم بشكل كبير في النشاط الصناعي والتجاري، فضلاً عن حاجة الإنسان للحيوان في التنقل والعمل في الزراعة والري.

المراجع

١. ابن الأثير. (دون تاريخ). اللباب في تهذيب الأنساب . بغداد: مكتبة المثنى .

٢. ابن البيطار . (٢٠٢٠). الجامع لمفردات الادوية والاغذية . بيروت : دار الكتب العلمية .

٣. ابن الوردي. (١٩٣٩). خريدة العجائب وفريدة الغرائب. بيروت : المكتبة الشعبية .

٤. ابن بطوطة . (١٩٩٢). رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب عجائب الأسفار. بيروت: دار صادر.

٥. ابن حوقل . (١٩٩٢). صورة الأرض. بيروت: دار مكتبة الحياة.

٦. ابن خلدون . (٢٠٠١). مقدمة ابن خلدون . بيروت : دار الارقم ابن ابي الارقم .

٧. ابن رسته. (١٨٩١). الأعلاق النفيسة . ليدن : بريل .

٨. ابن فضلان . (١٩٦٠). رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩ هـ/٩٢١ م. دمشق: المطبعة الهاشمية.

٩. ابن منظور. (دون تاريخ). لسان العرب . القاهرة : مطابع كوستاتوماس.

١٠. ادي شير. (١٩٨٠). الألفاظ الفارسية المعربة . بيروت : المطبعة الكاثوليكية .

١١. الادريسي. (٢٠١٦). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . دمشق : دار العرب .

١٢. الاصطخري. (دون سنة). المسالك والممالك . دون مدينة : دون تاريخ .

١٣. الانطاكي. (١٨٨٤). تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب . القاهرة : مطبعة الحلبي
١٤. الباكوي. (١٩٧١). تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار . موسكو دار نشر العلم .
١٥. البخاري. (، ١٩٢٣ ، حديث ٢٣٤٠). كتاب البخاري.
١٦. البكري. (١٩٩٢). المسالك والممالك . بيروت : دار الغرب الإسلامي.
١٧. البيروني. (٢٠٠٠). الآثار الباقية عن القرون الماضية . بيروت: دار الكتب العلمية .
١٨. الثعالبي. (١٩٦٠). لطائف المعارف . القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه .
١٩. الجاحظ. (١٩٧٩). رسائل الجاحظ. القاهرة : المطبعة الحديثة .
٢٠. الجاحظ. (١٩٩٤). التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة . القاهرة: مكتبة الخانجي.
٢١. الحديثي. (١٩٩٠). ارباع خراسان الشهيرة . البصرة : وزارة التعليم العالي .
٢٢. الحموي ياقوت . (١٩٩٥). معجم البلدان (المجلد ٢). بيروت: دار صادر.
٢٣. الحنفي. (١٩٧١). البداية في شرح الهداية . بيروت : دار الكتب العلمية .
٢٤. الدميري. (١٨٦٧). حياة الحيوان الكبرى . القاهرة : دون نشر .
٢٥. الزبيدي. (١٨٨٨). تاج العروس من جواهر القاموس . بيروت : المطبعة الخيرية.
٢٦. الزمخشري. (١٩٩١). ربيع الأبرار ونصوص الأخبار . بيروت : مؤسسة الاعلامي .
٢٧. الشيباني. (١٩٨٦). الاكتساب في الرزق المستطاب. بيروت : دار الكتب العلمية .
٢٨. العمري. (٢٠٠٢). مسالك الأبصار في ممالك الامصار . أبو ظبي : المجمع الثقافي .
٢٩. الغرناطي. (٢٠٠١). زهرة البستان ونزهة الأذهان . بغداد: د.ن .
٣٠. القزويني. (١٩٦٠). اثار البلاد واخبار العباد . بيروت : دار صادر .
٣١. القلقشندي. (١٩٢٢). صبح الأعشى . القاهرة : دار الكتب المصرية .
٣٢. القمي. (٢٠١٤). تفسير القمي . بيروت : مؤسسة الاعلامي .
٣٣. اللبودي. (٢٠١٣). قيام دولة شاهاة خوارزم ٤٧٠ .–٦١٧ هـ/١٧٧–١٢١٩ م. الاسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة .
٣٤. المسعودي. (١٩٣٨). اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران . القاهرة : مطبعة عبد الحميد حنفي .
٣٥. المقدسي. (١٩٠٦). احسن التقاسيم . ليدن : بريل.
٣٦. الميموني. (٢٠٠٣). دولة المأمونين في خوارزم (دراسة سياسية وحضارية ٣٨٥–٤٠٨ هـ/٩٩٥–١٠١٧م. القاهرة : مكتبة الآداب .
٣٧. النويري. (٢٠٠٤). نهاية الأرب في فنون الأدب. بيروت : دار الكتب العلمية .
٣٨. الوطواط. (٢٠٠٨). مباهج الفكر ومناهج العبر (كتاب النبات) . بغداد: د.ن .

٣٩.بارتولد. (١٩٨١). تركستان في فترة الغزو المغولي . الكويت : شركة كاظمة للنشر .

٤٠.بيلياييف. (دون تاريخ). العرب و الإسلام والخلافة العربية . بيروت : دار المتحدة للطباعة .

٤١.حمودة. (٢٠٠٩). تاريخ المشرق الإسلامي . القاهرة : دار الثقافة للنشر .

٤٢.خلف. (٢٠٠٤). بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي . القاهرة : الهيئة العامة للكتاب .

٤٣.دهخدا. (١٩١٨). لغت نامه ، معجم اللغة . طهران : مطبعة الامير .

٤٤.شيخ الربوة. (١٩٢٨). نخبة الدهر في عجائب البر والبحر. بغداد: مكتبة المثنى .

٤٥.لسترنج. (١٩٥٤). بلدان الخلافة الشرقية . بغداد: مطبعة الرابطة .

٤٦.لومبار. (١٩٩٠). الإسلام في مجده الأول من القرن ٢ الى ٥ هـ /٨ –١١م. مراكش : دار الافاق الجديدة .

٤٧.مصطفى. (دون تاريخ). المعجم الوسيط . طهران : المكتبة العلمية .

٤٨.معين محمد . (١٩٥٥). القاموس الفارسي (فرهنكك فارسي) . طهران : مطبعة أمير كبير .